كلمات في ذكرى مولد عيسى ابن مريم عليه السلام هذه كلمات من مسلم ، فيها دعوة حق صادقة : بقلم الشيخ حيدر اليعقوبي

كلمات في ذكرى مولد عيسى ابن مريم عليه السلام

هذه كلمات من مسلم ، فيها دعوة حق صادقة

وموعظة خالصة الى المسيحيين في العالم ، في ذكرى مولد النبي المسيح ، عيسى بن مريم العذراء ، أو يسوع المخلص كما يسمونه ، وكلمة الله التي ألقاها الى مريم (عليها السلام) , كما يصفه القرآن الكريم،

فاذا كُنتُم أيها المسيحيين تؤمنون بالله الخالق الواحد ، رب العالمين ، فنحن المسلمون أيضاً نؤمن به .

واذا كُنتُم تؤمنون بالنبي عيسى المسيح ، أو يسوع ، فنحن أيضاً نؤمن بالنبي عيسى (عليه السلام) ونعتقد انه أحد الأنبياء العظماء الذين ارسلهم الله تعالى .

واذا كُنتُم تؤمنون بالشريعة الإلهية ، والديانة الربانية ، فنحن المسلمون أيضاً نؤمن بشريعة الله تعالى وضرورة الإلتزام بدينه .

ولكن توجد فروق وميزات بيننا وبينكم ، ينبغي أن تعرفوها وتفهموها اذا سمحتم لنا بالتوضيح ،

وأهمها مايلي :

أولاً - أنتم تعتقدون لسبب من الأسباب ، ان النبي عيسى (عليه السلام) هو ابن الله تعالى , أو أن الله تعالى تجسد فيه ، أو تمثل فيه ..

ولكن نحن المسلمون نعتقد ان هذا الإعتقاد يتعارض مع مباديء التوحيد والعبودية المطلقة لله تعالى ، ويتنافى مع مقام الإلوهية الذي لايكون ولايصح الا لرب العالمين ، الذي ليس كمثله شيء ..

ولذلك نحن المسلمون نقول لكم بدافع الحرص عليكم وحب الخير لكم : أن اعتقادكم هذا خاطئ وواهم وباطل ، ونحن نتوقع منكم أن تكونوا أكثر وعياً وتفهماً لحقيقة ان الله تعالى ليس كمثله شيء ، وأنه أعظم وأجل من أي شيء يخطر في بالكم ..

(يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلا الْحَقَّ , إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ , فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ , إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ , لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً) .

واذا كانت هناك عبارات في نسخ الإنجيل التي كتبها تلاميذه ، ووصلت إليكم بالشكل الموجود بين أيديكم ، بحيث توحي هذه العبارات بالأبوة أو البنوة ، ولم تقبلوا بإحتمال التحريف أو الزيادة ، فهذا بالتأكيد ينبغي ان يفهم بمعناه الرمزي ، أو للكناية أو نحو ذلك من التعبيرات المجازية المتعارفة في مثل هذه الخطابات ..

تماماً كما ورد في القرآن الكريم عبارات مثل : وجه الله ويد الله ، وهي كناية عن الوجود أو القوة أو نحو ذلك ..

فالنبي عيسى (ع) هو روح مخلوق ، رغم أن خلقه وإيجاده كانا بطريقة إعجازية وغير طبيعية ، من دون أب ، تماماً مثلما خلق الله تعالى نبيه آدم (ع) ، وأوجده بطريقة إعجازية ، من دون أب أو ام ، فهل تقولون عنه انه أيضا ابن الله ؟

هذه بالتأكيد فكرة باطلة ، فيجب ان تتأملوا وتتفكروا بعمق .

(وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ، لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ، تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ، أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَانِ وَلَدًا ، وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ، إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا) سورة مريم (88-93).

ونلاحظ في هذا المقطع القرآني كيف يتكرر لفظ (الرحمن) , وهو يتناسب مع خطورة هذه الدعوى الواهمة ، التي هي دعوى جريئة وشديدة ، وتتنافى مع اوضح المبادئ الاساسية للعقيدة الالهية , ولذلك فهي تستوجب اشد العقاب واعظم العذاب لولا ان الله تعالى هو الرحمن ، وقد إقتضت رحمته ان يؤخر العقاب

ويؤجله ليوم لاينفع فيه الندم ..

فالنبي عيسى (يسوع) إنما هو نبي من أنبياء الله تعالى ، وعبد من عباده الذين إصطفاهم ، وقد ارسله الله تعالى بمعجزات وآيات ، تماماً كما أرسل النبي موسى (ع) من قبله بمعجزات وآيات .

وهذه المعجزات مهما كانت ، تعتبر علامة وآية توثق وتؤكد العلاقة والرابطة بين الله تعالى وبين هذا الشخص الذي ظهرت على يديه المعجزة ..

هذه العلاقة والرابطة إنما هي علاقة الوساطة والتبليغ عن الله تعالى ، وهي التي تسمى بالنبوة أو الرسالة ..

واذا كانت هناك معاجز خاصة لبعض الأنبياء والرسل ، فهذا لايعني بالضرورة ان يكون صاحبها في مقام آخر غير مقام النبوة أو الرسالة ، وإنما هو تعدد مظاهر آيات الله تعالى على حسب الحاجة والضرورة ومتطلبات التأثير ..

فموسى (عليه السلام) ظهرت له عدة معاجز لم تظهر لعيسى (ع) ، وعيسى (عليه السلام) ظهرت له عدة معاجز لم تظهر لموسد(ع) ، ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ظهرت له عدة معاجز لم تظهر لغيره ، في حين يشترك الجميع بجملة من المعجزات .

حتى الإحياء (إحياء الموتى بإذن الله) لم يكن خاصاً بالنبي عيسى ، بل حصل على يدي عدة أنبياء ، وقد ورد ان حزقيال النبي أحيى اربعة آلاف او ثمانية آلاف .

ثانياً - أنتم تعتقدون ان النبي عيسى هو آخر الأنبياء ، أما نحن فنعتقد انه ليس آخر الأنبياء والمرسلين ، وإنما هو آخر أنبياء بني اسرائيل ..

فهو ليس آخر الأنبياء على الإطلاق ، لان الله تعالى بعث من بعده نبي الإسلام ، وهو نبي عربي اسمه (محمد) يحث الناس ويدعوهم الى عبادة الله ، والاعتقاد والإيمان بجميع الأنبياء السابقين ، وهذا النبي العربي جاء بمعجزات وآيات مشابهة لمعجزات عيسى (ع) ..

كما ان لديه معجزة خالدة هي القرآن المقدس ، فهذا الكتاب يعجز عنه كل الأدباء والبلغاء منذ ذلك الحين والى الآن ، والى نهاية الوجود ..

وسر هذا الإعجاز يكمن في ان صياغته وترتيبه ، هما فوق جميع القابليات البشرية ، وجميع العلماء والبلغاء لا يستطيعون مجاراته أبداً ..

ورغم انه بسيط في تعبيراته ، الا انه عميق في أفكاره ومحتوياته ، التي تلائم جميع العصور والأجيال والحضارات ..

وتوجد في هذا الكتاب حلول جذرية للكثير من مشاكل العالم ، سواء كانت فكرية او أخلاقية أو اقتصادية أو اجتماعية أو غير ذلك .

وميزة هذا الكتاب أنه محفوظ من دون أدنى شك ، لأنه متواتر من جيل الى جيل ، ومأخوذ يداً بيد عمن

قبلنا ، بنفس ترتيبه وصياغته ، وبنفس نصوصه وكلماته ..

فماذا ستخسرون اذا آمنتم وإعتقدتم بهذا النبي ، بنبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كما نؤمن نحن ونعتقد بنبيكم عيسى (عليه السلام) ..

فان الله تعالى الذي أرسل نبيكم عيسى (ع) هو نفسه الذي أرسل نبينا محمد (ص) ، فلماذا تعصون أوامر الله تعالى في نبيه محمد (ص) ..

أما نحن المسلمون فنعتقد بجميع الأنبياء والمرسلين ، ونؤمن بمنزلتهم المقدسة ، بل نحن نعتقد بعصمتهم وطهارتهم من جميع الذنوب والخطايا ، ولذلك فنحن في أمان من هذه الناحية ..

(يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنوا آمِنوا بِاللَّهِ وَرَسولِهِ وَالكِتابِ الَّذي نَزَّلَ عَلى رَسولِهِ ، وَالكِتابِ الَّذي أَنزَلَ مِن قَبلُ ، وَمَن يَكفُر بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَاليَومِ الآخِرِ فَقَد ضَلَّ ضَلالاً بَعيدًا) سورة النساء - ١٣٦

فالاسلام يعتبر أحوط وأسلم من جميع الأديان السابقة التي أنزلها الله تعالى على الترتيب .

وأهل الكتاب من اليهود والمسيحيين مطالبون واقعاً بالبحث عن الإسلام ، لأن الدين الاسلامي دين إلهي مثل اليهودية والمسيحية ، أي أنه من نفس نوعهما ، وبنفس منشأهما ومبدئهما ..

ولكنه لما جاء بعدهما ، فيكون عندئذ حاكما عليهما ، خصوصاً وأنه يذكرهما بالإسم ويدعو أهلهما اليه .

ولاموجب لأن يبحث المسلم عن اليهودية والمسيحية ، لأنه مؤمن أساساً بنبوة النبي موسى والنبي عيسى (عليهما السلام) ، بل هو ينظر إليهما بتقديس وإجلال ، وينزههما عن كل سوء ، بمقدار أكبر وأكثر مما يتصوره اليهودي أو المسيحي ..

أما هؤلاء فيحتاجون ان يبحثوا بوعي وصدق عن هذا النبي الذي أرسله الله تعالى بعد موسى وعيسى (ع) كما أرسلهما من قبله ، وكما أرسل الأنبياء من قبله ..

واذا لم يبحثوا عنه فإنهم يغامرون بدينهم وبمصيرهم ..

وسيخسرون كل شيء اذا تبين لهم فيما بعد ان النبي محمد (ص) نبي الله ، وان الاسلام دين الله ..

أما المسلم فإنه مرتاح من هذه الناحية ، فهو يمشي في الطريق الأسلم ، ويسير على الصراط الأقوم ، وعمل بما هو أحوط وأكثر أمناً وأماناً في دنياه وآخرته ، في جميع الأحوال والتقادير ..

وهذه نعمة عظيمة خاصة بالمسلم ، وفضل كبير يمتاز به عن غيره .

رابعاً - انتم تظنون ان الحرية الشخصية مطلقة وغير مقيدة ، وكل شخص منكم حر في ان يفعل أي شيء يهواه ويريده ، فيستطيع ان يزني أو يشرب الخمر ، ويشاهد كل ما يحلو له ويرضي رغبته ، وان يفعل كل ما يهواه في دنياه ..

بينما نعتقد نحن المسلمون ان هذه الحرية مقيدة ومحددة بالتعاليم الدينية ، وان أوامر الله تعالى شاملة بمعنى من المعاني لمطلق تصرفات الإنسان الفردية والإجتماعية ، وان طاعة الله واجبة على

خلقه ، وان الثواب والعقاب متوقف على الطاعة والعصيان ..
ونحن نعتقد أيضاً أن هذه الحقيقة موجودة في دينكم ، ولكنكم لاتعلمون , أو لا تهتمون بذلك ..
فاذهبوا واسألوا علمائكم الثقات عن تفاصيل الشريعة في دينكم ..
اسألوهم هل كان المسيح يسوع السائح في ملكوت الله يفعل مثل هذه الأمور التي تطبع وتعود أغلبكم عليها ؟ ..
اسألوهم هل كانت مريم العذراء الطاهرة النقية ترضى أو تفعل مثل هذه الأمور التي ترتكبها أغلب النساء في مجتمعاتكم ، من التهتك وعدم الحشمة أمام الآخرين ، وحرية الإختلاط مهما كان ، ونحو ذلك

اسألوهم هل كان بطرس أو ماثيو يرضون بفعل مثل هذه الأمور ؟
بالتأكيد انهم كانوا أناساً طاهرين ، وكانوا يتورعون عن مثل هذه التصرفات ، وكانوا نزيهين ويمتازون بالصفات العالية ..
فكيف تدّعون أنكم مسيحيون ، وأنتم بعيدون عن أخلاق المسيح وأمه وخيرة حواريه ..

كيف تسمون أنفسكم مسيحيين ، وأنتم لا تلتزمون بتشريعات السيد المسيح ، ولاتأخذون بنصائحه وتعاليمه في تصرفاتكم الحياتية ..
أين أنتم من الحياة الآخرة ، ان كنتم تؤمنون بها حقاً ..
الذهاب الى الكنيسة كل أسبوع لايكفي ، وإنما هو مظهر ينبغي أن يعبر عن جوهر ومضمون في داخلكم وفِي تصرفاتكم مع خالقكم الله تعالى ..
لاحظوا كبار رهبانكم كيف يفترض أنهم يجتنبون المحرمات ويتنزهون عن المفاسد والرذائل ..
لاحظوا راهباتكم ، وهن يلبسن الحجاب ، ويحاولن التطهر والتنزه من الموبقات والمحرمات ..
لانقول لكم كونوا رهباناً أو راهبات ..
ولكن نقول لكم تعلموا وطبّقوا الأخلاق والقيم التي يريدها الله تعالى ، ولو بالحد الأدنى المقبول عند الخالق جل جلاله .
ليكن معلوماً عندكم ان دين الله يأمركم بالآداب والاخلاق ، وينهاكم عن الفحشاء والرذائل ، وان الحرية الشخصية مقيدة بالآداب والتعاليم الإلهية ، وهذا ما نعتقد به نحن المسلمون .
خامساً - انتم تظنون ان التقدم في التسلح والعمران والتكنولوجيا ، هو معيار التقدم الحضاري ، وأنه أهم شيء وغاية في هذه الحياة ..
لكننا نعتقد ان هذا مقياس باطل وخاطئ ؛ لان التقدم العلمي والعمراني والتكنولوجي مهم جداً ، ولكنه يجب أن يستند على الأخلاق والآداب والدين ؛ وإلا فانه سيكون كارثة على البشرية ..
وفِي الختام نحن ندعوكم لأن تقرؤوا كتبنا وثقافتنا من مصادرنا الموثوقة المتسالم عليها بين

المسلمين ، ولاتأخذوا ديننا وشريعتنا من أعدائنا الذين ينتسبون الى الإسلام ، وهم بعيدون عنه وعن قيمه وروحه ..

تماماً كما نفعل نحن مع الحركات أو الحملات التي نشأت وحاربت بإسم الصليبية والمسيحية ، ونحن نعتقد ان الدين المسيحي بريء منها .

تأملوا جيداً في ديننا الاسلامي ، لتعرفوا انه دين الله خالق الوجود ..

ولنختم الكلام بقول الله تعالى :

(ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) المائدة (٨٢-٨٣)